



اللغة العربية

ووسائل الحفاظ عليها وجلاء صورتها

دراسة دلالية تحليلية

دكتور

محمود حسين أحمد الزهيري

أستاذ مشارك

قسم اللغة العربية – جامعة العلوم الإسلامية العالمية – عمان

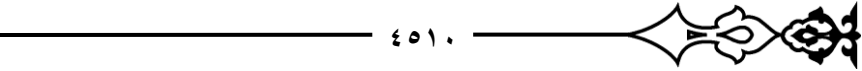
دكتور

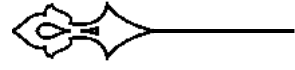
عبداللطيف مطيع عبدالقادر محمد

أستاذ مساعد

قسم اللغة العربية – جامعة العلوم الإسلامية العالمية – عمان





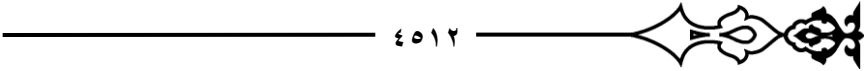


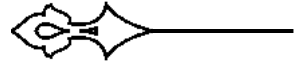
مجلة

كلية
الدراسات
الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ







المقدمة:

إنَّ اللغةَ هي الأداة التي تسجل أفكار الإنسان وأحاسيسه على مدى التاريخ الإنساني كله فباللغة ينقل المتكلم ما في فكره إلى فكر المخاطب ومن هنا فألفاظ اللغة أثواب المعاني كما أن اللغة هي ثمرة من ثمار التفكير الإنساني وهي البيئة الفكرية التي نعيش فيها فتؤثر على عقولنا وعن طريقها يقوم العقل بالعمليات التفكيرية من تحليل واستنتاج وموازنة وربط العلاقات بالظواهر، فهي بهذا أداة من أدوات السيطرة على البيئة الفكرية، وعليه تكون جزءاً هاماً من كيان المجتمع ومرافقاً له في كل أطوار حياته، وللغة قيمتها الجوهرية في حياة كل أمة فهي من أهم عوامل بناء أمنها وحماية كيانها، وهي أداة لحمل الفكر الراقى والمشاعر السامية من فرد إلى فرد، وجماعة إلى جماعة وأمة إلى أمة، وتزداد اتساعاً على مستوى المكان، وثراء على مستوى الزمان وبهذا تتجاوز مهام لغة التخاطب إلى مهام مرحلة بناء الأمم وتشبيد المعارف والحضارات على أصول ذات حسن وذوق رفيعين، وبجانب هذا فاللغة كاشف بيّن عن معدن المتكلم وثقافته (وكنيت مثل الكتاب أخفاه طيه فاستدلوا عليه بالعنوان) وألسنة الناس مفاتيحها.

وشاء الله تعالى فجعل للأمم غير الإنسانية لغة وفكراً خاصين بها قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أُمَّتًا لَكُمْ ﴾ [الأنعام:

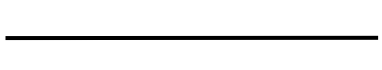
٣٨] وقال أيضاً: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾ [إبراهيم: ٤].

وفي يوم ما قرر منطقة اليونان أن الفكر قاصر على النوع الإنساني فعرفوا الإنسان بأنه (حيوان ناطق) وعنوا بالنطق التفكير قائلين: بأن الفكر الإنساني يفصل نوع الإنسان عن باقي أفراد جنسه (الحيوانات



مجلة

كلية
الدراسات
الإسلامية



الأخرى) ولكن من يستقرئ القرآن الكريم في هذا الجانب والسنة الشريفة كذلك يدرك بجلاء ما بينه القرآن من إسناد النطق والتفكير لبعض الحيوانات^(١).

فلقد أسند القرآن الكريم النطق لبعض الحيوانات، وجعل لها طريقة للتفاهم فيما بينها، ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ١٦]. وكان ذلك لسليمان عليه السلام.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سَيِّدُنُ وَمُرُودُهُمْ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ١٨]؛ فبين مدى تفكير النملة العقلي عندما وصفت سيدنا سليمان بعدم الظلم، فهم إن حطموا النمل إنما بغير قصد، وقبل هذا شعورها بالخطر القادم وتحذير رعاياها لتوخي الحذر هذا الأمر أدى إلى فرح سيدنا سليمان وتبسمه إزاء سماعه هذا ﴿فَنَبَّسَهُمُ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ [النمل: ١٩].

وفي قوله تعالى حكاية عن الهدهد ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَيْمٍ بَنِي يَمِينٍ﴾ [النمل: ٢٢-٢٦] يفرق الهدهد بين حكم الرجال وحكم النساء قائلاً ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ [النمل: ٢٣] بأسلوب النكرة، وكذلك يفرق بين عرش الرحمن وعرش ملكة سبأ فيقول: ﴿وَمَا عَرْشُ عَظِيمٍ﴾ [النمل: ٢٣] بأسلوب النكرة. ويقول: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦]

(١) انظر: القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ١٣/١٧٦، دار الكتاب العربي.



اللغة العربية ووسائل الحفاظ عليها وجلاء
بالتعظيم اللائق مع الباري سبحانه، فما بين التعريف (العرش) والتنكير
(عرش) فرق فهمه الهدهد.

وفي الحديث الشريف الذي خاطب فيه الجمل الرسول ﷺ وشفّع
الرسول ﷺ لدى مالكيه مشهور في كتب السنة، والشاة المسمومة التي
أخبرت النبي ﷺ أنها مسمومة^(١).

وجاء في السنة الشريفة أن النطق والتسبيح تعدى ذلك إلى
الجمادات كالجبال والشجر والحجارة: "إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم
عليّ قبل أن أبعث. إني لأعرفه الآن"^(٢). كما أن القرآن الكريم أثبت ذلك
للسموات والأرض ومن فيهن فقال: ﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾
[الإسراء: ٤٤].

نظرة الإسلام إلى اللغات الأخرى:

إن الإسلام والقرآن الكريم والرسول ﷺ عندما يباركون هذا فلا تعني
هذه المباركة أدنى تعصب ضد لغة أخرى، حيث يعلم القرآن الكريم أن
اختلاف الناس في لغاتهم ومعارفهم هو إحدى آيات الخالق العظيم
سبحانه الذي يقول: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ
السِّنِينَكُمْ وَالْوَنُكْمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢].

(١) انظر: ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي
خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط ١٠، ١٩٨٠م، مؤسسة الرسالة،
٣٣٥/٣.

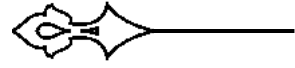
(٢) صحيح مسلم، الإمام: أبي الحسن مسلم بن الحجاج، رقم (٢٢٧٧)، دار
إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٢.

وعليه فلا يعني الاهتمام باللغة العربية والحفاظ عليها أنه على حساب تعليم اللغات الأخرى حيث إن إتقان لغة أخرى لمتابعة الأحداث والتطورات العلمية والعالمية وتحقيق التبادل والتكافل الثقافي أمر يدعو إليه الإسلام فلقد أمر الرسول ﷺ زيد بن ثابت بتعلم اللسان السرياني^(١)، والفرق شاسع بين هذا وبين أن تكون اللغة الأخرى بديلاً عن اللغة العربية حالئذ يكون الضياع للعقيدة والأصالة والهوية، لأن الله وصف القرآن بلسان عربي مبين، فقال سبحانه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].



وفي الزمن المعاصر صار الحفاظ على العربية أمر حتمي ديني وحياتي حيث تتعرض لهجمات شرسة من تغريب لها في بني جلدتها وغزو فكري لأبنائها بقصد طمس الهوية العربية والإسلامية لتحل محلها هويات وثقافات لا تتوافق مع عقيدة الإسلام السمحة، وتشريعاته الحكيمة.

(١) الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٤، ٤٢٨/٢.



المحور الأول: القرآن الكريم واللغة العربية.

• حكمة إنزال القرآن الكريم باللغة العربية:

لقد شرف الله تعالى العربية فأنزل بلسانها قرآنه الكريم فأقسم الحق سبحانه بأحرف الإعجاز بالكتاب المبين على أنه جعل القرآن باللغة العربية فقال سبحانه: ﴿حَمِّ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ [الزخرف: ١-٣].

كما أشار - سبحانه - إلى المقام العالي الرفيع لآيات كتابه المبين مبيناً أنه أنزل باللغة العربية مما يوحي بالمقام العالي الرفيع كذلك لهذه اللغة فقال سبحانه: ﴿الرَّتِّكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ [يوسف: ١-٢].

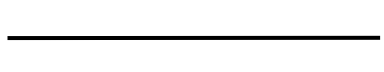
ويعد أحرف الإعجاز كذلك بين الحق سبحانه أن تنزيله للقرآن مفصلاً بلغته العربية إنما هو مظهر من مظاهر رحمانية الله ورحمته. وتكرر في القرآن الكريم تأكيد إنزاله، ووحيه باللغة العربية في أكثر من موضع وفي كل منها معاني جديدة ذات عطاء لا ينفد فيقول سبحانه ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

وذلك مما يؤكد اللسان العربي ويجعله قادراً على مواكبة الحياة وتطورها ويفرض لغة القرآن في جوانب الحياة من غير إنكار لغيرها من اللغات.



مجلة

كلية
الدراسات
الإسلامية

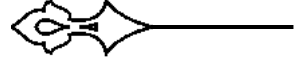


فيقول: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الشورى: ٧] لذا جعله بعيداً كل البعد عن أي اعوجاج يخالف الاستقامة فيقول: ﴿ الْمَهْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف: ١].

وقال سبحانه: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ [الزمر: ٢٨] وكما سبق وصف الحق سبحانه لكتابه بأنه مبين أتنى على لسان اللغة العربية فقال: ﴿ وَإِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٣٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]؛ لذا وهب الله سبحانه عقل النبي ولسان قمة البيان والفصاحة، فأدبه - سبحانه - فأحسن تأديبه وأتنى على لسانه العربي المبين في موضعين من القرآن الكريم فيهما بيان بأن لسانه صلى الله عليه وسلم من أرقى وسائل تيسير القرآن للأمة نطقاً وفهماً وعلماً وتعليماً فقال عز من قائل: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ [مريم: ٩٧]. كما قال: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الدخان: ٥٨].

وبناء على ما سبق بين سبحانه أنه أنزل القرآن حكماً عربياً لاشتمال القرآن الكريم على جميع أقسام التكاليف وليجعل اللسان العربي طاعياً على كل لسان ففيه ما يغني من أساليب تفاهم في شؤون الحياة والعلم؛ لذا فرض الله على جميع المكلفين تعلم القرآن الكريم والعمل به لأنه جاء إلى الناس كافة وفي هذا الإنزال الحكمي يقول سبحانه: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ [الرعد: ٣٧]. وقال أيضاً: ﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣].





لذا تلحظ أنها مقارنة بين اللغة المبنية واللغات الأخرى، فكلما كانت اللغة متسعة مرنة تستوعب وتتقبل تطور الحياة كانت أقدر على البقاء والاستمرارية. وكلما كانت متعددة المترادفات وكثيرة الألفاظ استطاعت أن تهينم على نواحي الحياة، ويكتب لها الخلود والبقاء.

ومن جهة أخرى نلحظ أن دساتير الأمم والشعوب تحافظ على نصها الأول الذي كتبت فيه ويبقى على الناس نقلها إلى لغاتهم ليفهموها، فهذا هو شأن اليونان القدماء، والفرس والروم وغيرهم في ترجمة ما لديهم إلى لغات أخرى؛ فلا ضير على العربية أن تكون كذلك وقد جاءت بأهم دستور على مستوى البشرية ألا وهو القرآن الكريم.

• حفظ اللغة العربية جاء من حفظ القرآن الكريم:

استمدت العربية قوتها وخلودها وبقاؤها لغة للتفاهم والتخاطب من نزول القرآن الكريم المحفوظ من الله سبحانه وتعالى، فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، ففيه ترابط وثيق لا ينفصل لأن القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله ومن جراء ذلك حفظت لغته وبذا تلحظ علو القرآن ونظمه وسبك آياته في أروع أساليب اللغة وآدابها ونظمها وتجلياتها التي تأخذ بالألباب وتأسر القلوب والأفئدة.

وبذا ندرك اهتمام السابقين بأساليب اللغة ونحوها وصرفها وبلاغتها وفنونها المتعددة خدمة للقرآن الكريم وفهمه فأصبح الاهتمام باللغة طريقاً لا ثاني له للاهتمام بالقرآن.

فانطلقوا يبحثون عن فنون اللغة في نظم القرآن وطرائق أدائه ويستخرجون منه أعظم الأساليب وفنون القول.

• المعجزة المعنوية الكبرى لسيدنا محمد ﷺ

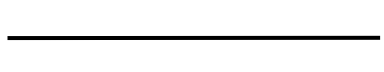


مجلة

كلية

الدراسات

الإسلامية



لقد حبى الله - سبحانه - الرسول ﷺ بمعجزات كثيرة متنوعة جمعت بين الحسيّة، والمعنوية، والإخبار ببعض الغيبيات. والقرآن الكريم ذلك اللفظ العربي المنزل على محمد ﷺ يقظة بواسطة جبريل المتحدى به والمنقول إلينا تواتراً، والكائن بين دفتي المصحف سعدت اللغة العربية بإنزاله بها فالنظم القرآني خاصة كانت المعجزة المعنوية الكبرى للرسول ﷺ فبين أساطين اللغة وروّادها الأوائل وساداتها شعراً ونثراً وخطابة أنزل الله القرآن الكريم بأسلوب سهل ميسر ممتنع معجز فما وسعهم لما سمعوه إلا أن سجدوا لبلاغته وفصاحته مع عدم إيمان بعض الساجدين لرسوله^(١).



وقد جاء التحدي من قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [الإسراء: ٨٨]، تحداهم الله بأن يأتوا بعشر سور مثله فقال سبحانه: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ اقْرَأْ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْطَٰهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [هود: ١٣].

ثم خفف الكمّ المتحدى به إظهاراً لعظمة القرآن وإعجازه فقال سبحانه: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣]. والذين حاولوا الإتيان بمثل القرآن إنما جاؤوا بمثلية استهزأ بها فأنى لهم إلى ذلك سبيلاً؟

(١) انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ٤٨٦٢، ٤١١/٦، دار الفكر، ١٩٩٤، ١٤١٤هـ. والقرطبي، ٨١/١٧. في قصة سجود المشركين حين قرأ رسول الله ﷺ سورة النجم إلى آخرها.



ولقد كان القرآن معجزاً وبقي معجزاً إلى آخر الدنيا، ويلحظ أنّ الإعجاز كان إعجاز نظم وتأليف؛ لذا ذكر الجرجاني موضوع الإعجاز وبين أنه في النظم والسبك، ولحظ أن ألفاظه وحروفه وكلماته هي مما استخدمها العرب قبل الإسلام فليس في شيء منها إعجاز، إنّما الإعجاز في النظم والتأليف^(١)، على أن الخلاف حاصل في إعجاز القرآن هل هو بالتحدي أم بالصرفة^(٢).

فإذا كان أعجز أساطين اللغة والبلاغة فمن باب أولى أن يعجز من بعدهم أو من هم أقل منهم في مستويات اللغة وتصاريفها. وبذا نفهم وندرك لماذا كان المشركون وهم صادون عن الإسلام يتسللون خفية للاستماع إلى القرآن حين يتلى من بيت النبي ﷺ^(٣)، فلولا أن القرآن أسر ألبابهم وجذب أسماعهم بنظمه وتأليفه لما فعلوا ذلك، ولا كان منهم.

ومما يؤكد معجزته أنه جاء فيه تراكيب لم تعهدها العرب على الرغم من أنها الفاظهم ومفرداتهم كقوله فقال: ﴿لَمْ تَكُونُوا بِلَيْفِهِ إِلَّا سِيقَ الْأَنْفُسِ﴾ [النحل: ٧] وقوله تعالى ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، وقوله تعالى ﴿وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] وغيرها كثير، ومما تجدر

(١) انظر: الجرجاني، عبدالقادر، دلائل الأعجاز، ص ٢٧٤.

(٢) الزركشي، برهان الدين، البرهان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ١٠٤/٢.

(٣) انظر: ابن هشام، أبو محمد عبدالملك، السيرة النبوية، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠١م، ٢٣٣/١.



الإشارة إليه أن إعجاز القرآن بتأليفه ونظمه أثر على اللغة العربية أيما تأثير وأجج فيها ثورة بعد رقاد وتطوراً إلى أعلى غاية ممكنة^(١).

وعلى الرغم من تقادم الزمان وتطوره، وتعاقب الأجيال لم يستطع أحد أن يأتي بنظم أو تأليف يشبه تأليف القرآن ونظمه، فضلاً عن أن يأتي بمثله، فالتحدي قائم إلى آخر الزمان والدنيا.

وفي سياق المتصل نلاحظ أن كل من حاول أن يأتي بنظم يحاكي فيه نظم القرآن الكريم وتأليفه تحدياً منه كان مثاراً للهزء والسخرية فهذا مسيلمة حاول فلم نر إلا سخافات، ونظم مرذول ساقط، تبدو منه حماقة والبلاهة كقوله: إنا أعطيناك الجماهر، فصل لربك وهاجر^(٢)، فركاكتها ظاهرة واضحة وإن كان إيقاعها وحركاتها وسكناتها تحاكي إيقاع القرآن الكريم وتصل بها إلى درجة السخافة والبلاهة.

ومما سبق يتبين أن الإعجاز إنما هو إعجاز نظم وتأليف ولا يتعداه إلى أمر آخر. وذا مما أعطى العربية قوة وخلوداً مدى الدهر لا يتجاوزها أحد ولا يستطيعه متحدٍ مهما أوتي من قوة البيان وفصاحة القول، نظراً لارتباط اللغة بالقرآن الكريم والنص المقدس.

ومما يؤكد ديمومة إعجاز القرآن أنه باق ما بقيت الدنيا، وأنه لم ينته بموت الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لم يذهب بذهاب الأيام بل هو باق باسط يد التحدي إلى ما شاء الله، وأنى ذلك نابغاً من نظمته ولغته

(١) انظر: الزهيري، محمود حسين، الأدب الراشدي الأموي رؤية ومنهج، دار الفكر، عمان، ط١، ٢٠١٥، ص٤٩.

(٢) انظر: الزرقاني عبدالعظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٩، ط١، ٢١٥/٢. وانظر: عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، ص٤٢٠، ط٤، ١٩٨٣م.



اللغة العربية ووسائل الحفاظ عليها وجلاء

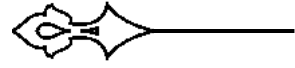
لأنه أعجز أصحاب البيان واللسان، من العرب الفصحاء والأقحاح
فإعجازهم ذلك يمثل شهادة من لجان التحكيم غاية النزاهة والإتقان، كما
في عصرنا الحاضر^(١).

ولما كانت لغة القرآن الكريم ونصه عربية فصيحة وجرى التحدي
عليه فإنه من باب أولى أن تكون لغته معجزة وباقية. فحفظ اللغة نابع
من حفظ القرآن والعناية باللغة عناية بالقرآن لا ينفصلان البتة، وما كان
ذلك ليكون إلا لأن اللغة العربية وعاء القرآن الكريم، ووسيلة بلاغه
للناس كافة.



(١) انظر: مناهل العرفان، ٢/٢١٨.





المحور الثاني: علاقة اللغة العربية بعالمية الدعوة وخلودها

• لغة عالمية:

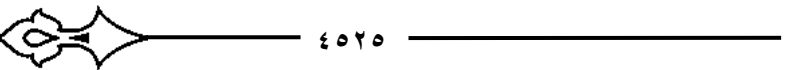
لقد أرسل الله الرسول ﷺ برسالة عالمية وخالدة إلى قيام الساعة، فقال عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨].

كما قال: ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِيَّي رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال سبحانه: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقد روي عنه ﷺ: (لا نبوة بعدي إلا ما شاء الله)^(١).

ولما كانت اللغة العربية هي وعاء القرآن الكريم وحاملة لرسالة هذا الدين الحنيف كانت عالميتها التي لا تعرف إقليمية في المكان ولا تحديداً في الزمان بفضل القرآن الكريم الذي لبست فيه اللغة العربية ثوب الإعجاز أجمل حللها وأبهاها فشدت إلى اللغة العربية من جراء ذلك مئات الملايين من البشر بشتى أجناسهم يقدسونه ولغته ويفخرون بأن يكون لهم منها نصيب، هذا ولقد كانت نشأة اللغة العربية في شبه الجزيرة العربية من عوامل صيانتها والمحافظة على كيانها عدة قرون قبل الإسلام، وفي ظل الإسلام تحولت من لغة لبعض القبائل ينشدون بها الشعر والنثر في سوق عكاظ وغيره إلى لغة العلم والحوار والاجتهاد بفعل معجزة القرآن الكريم الذي رفعها، وبفعل عقيدة التسامح والحرية التي أسهمت بدورها الفعال فجعلت كثيراً من غير العرب ينقلون إلى العربية ما لم يكن فيها من علوم.

(١) الجامع لأحكام القرآن، ١٤/١٩٧.



ومع انتشار الإسلام حلت اللغة العربية محل لغات كثيرة أخرى في بلاد الروم وفارس واستعربت شعوب كثيرة في غرب آسيا وشمال أفريقيا وبلدان من أوروبا، تركوا - طواعية - لغاتهم الأصلية وآثروا لغة القرآن، لأن حُبهم للإسلام عَرَّبهم فهجروا ديناً إلى دين ولغة إلى لغة.

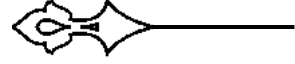
ومما يلحظ أن كثيراً من أعلام الحضارة الإسلامية كانوا من غير العرب، فأبو حنيفة، والبخاري وابن سينا، والرازي، وابن المقفع، وابن قتيبة وابن العميد، وأبونواس وبشار بن برد وغيرهم كانوا من أجناس غير عربية صهرها الإسلام وأدرجها في حضارته، فاستظلوا بظل الإسلام وتفيؤوا ظلال لغته.

وأضحت اللغة العربية دهوراً هي لغة الحضارة الأولى في العالم - آنذاك نعم صارت أداة التعريف والتفاهم بين مئات الملايين من البشر المنتشرين في الأرض حاملين رسالة الله وما انبثق عنها من حضارات وثقافات إلى شعوب وأجناس كثيرة من البشر، لتصير ذات رسالة إنسانية بشتى مفاهيمها وأفكارها معبرة عن حضارة إنسانية سعدت بها أمم شتى بعد أن اعتمدها جميعاً لغة لحضارتهم وثقافتهم لتكون لغة للعلم والسياسة والتجارة والتشريع على المستوى العالمي فكشف هذا بجلاء مدى تفوق اللغة العربية ونجاحها الكبير للقيام بدورها الحضاري الرفيع، لقد انتقلت من مجتمعها الصحراوي المتوازي إلى قيادة المعرفة والفكر على المستوى العالمي، قروناً متتالية.

• وسيلة للوحدة بين المسلمين:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ

فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].



فشاء الله أن يكون هذا الدين الإسلامي مشتملاً على روابط الوحدة بين المسلمين مهما اختلفت بلادهم وثقافتهم وحضاراتهم. فهم جميعاً وفي أي مكان بينهم رباط إيماني روي يجتمعون من خلاله على مائدة القرآن الكريم يتبدرونه حال كونه بلسان عربي مبين، ومعلوم أن توحيد لسان التخاطب بين أبناء الأمة يفتح مجالاً واسعاً لوحدة المعرفة والفكر حيث يعيش الجميع في كيان واحد ويتعاملون بلغة واحدة، ولقد جمعت اللغة العربية أبناء الإسلام من خلال قنوات العلاقات المتعددة علماء وسياسة وتجارة وغيرها. فأخذت نوعاً من الترابط الاجتماعي بين أمة الإسلام مهما تناعت المسافات والأوطان، وهذا النوع من الوحدة يحقق كذلك أمناً قومياً يجعل الأمة قادرة على مواجهة ما يتهدها من أخطار فهي بهذا الترابط ذات قضايا مشتركة ومصير واحد كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد.

وحينها لا فرق بين الأجناس في مقياس الإسلام، فكثير من الوزراء والأمراء القادة ليسوا عرباً جنساً بل عرب لساناً مثل برمكة الرشيد، ووزراء العباسيين، وسلاطين العثمانيين إذا لم تقتصر اللغة العربية على نبوغ علماء ومفكرين بل قادة وساسة لهم أثر واضح في خدمة الإسلام والقرآن الكريم.

ولعل أهم وسيلة لوحدة المسلمين - الصلاة - حيث إنها لا تقبل ولا تجوز إلا بالعربية، فقراءة الفاتحة في الصلاة لا تقبل إلا بالعربية، وكذلك



مجلة

كلية

الدراسات

الإسلامية



ألفاظ الصلاة من تكبير وتحميد وتسبيح لا تكون إلا بالعربية^(١). وتعد تلك الميزة من أبلغ وسائل الوحدة بين المسلمين وطريقاً ناجحاً لتآلفهم. ومن النماذج التطبيقية لوحدة المسلمين بفعل اللغة العربية وتأثيرها وقوة أسبابها:

قراءة القرآن الكريم وأحاديثه ﷺ، وأسلوب التحية بالسلام والرد عليه، ومصطلحات فرائض الإسلام ونسكه كالصلاة، والزكاة والصيام والحج فكلُّ يتكلم بها وكذلك التلبية في الحج والتكبير والتهليل وكافة الأذكار والأدعية.

وكلها لا تكون إلا بالعربية وفصاحة اللسان، لذا تلمح أن مصطلحات عربية كثيرة فرضت نفسها على لغات الأجناس الإسلامية، كالتركية والفارسية، والبربرية، وغيرها، وتعدت ذلك إلى لغات أوروبا كمصطلحات القضاء والحكم والسياسة والفلسفة، ناهيك عن الفلك وعلومه.

وكذلك الأسماء التي كثيراً ما تكون شبيهة بأسماء الصحابة الكرام، ومن ثمّ كتابة كثير من اللغات كالفارسية والتركية والأوردية والملايووية بأحرف عربية كل هذا جعل الوحدة اللغوية دائمة بين المسلمين في كل زمان ومكان.

وفي السياق المتصل نلاحظ أن الخط العربي هيمن على لغات غير العربية مثل الفارسية، والتركية القديمة، والأوردية، وأصبح الخط العربي

(١) انظر: ابن قدامة، أبو محمد عبدالله بن أحمد، المغني، مكتبة الرياض الحديثة، ٤٨٦/١.



اللغة العربية ووسائل الحفاظ عليها وجلاء

من بين ثلاث خطوط مشهورة في العالم لا رابع لها وهي في كل العالم إلى الوقت الحاضر لا تتعدى هذه الخطوط الثلاثة^(١).

فلولا أن الخط العربي أثبت قدرته على البقاء والخلود من جراء خط القرآن الكريم ورسمه ولغته لما ثبت إلى عصرنا الحاضر وتلك ميزة تضاف إلى حساب إعجاز القرآن الكريم ولغته العالمية.

وفي الوقت الذي كانت لغة إعجاز كانت وسيلة وحدة وائتلاف وتلاق بين أجناس الأمة جميعها. وتعد تلك لفظة سامية أوجدها القرآن لتسهيل التواصل الفكري والثقافي والتلاحم والترابط بين أفراد الأمة وجماعتها.

• لغة تزدهر ولا تندثر:

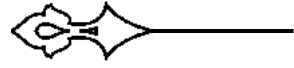
لقد وهب الله اللغة العربية خصائص وميزات جعلتها قادرة على الانتشار والبقاء لتتمشى مع طبيعة الكتاب المجيد الخالد برسائله العامة الخالدة فما هو القرآن الكريم بألفاظه العربية المباركة يتلوه المسلمون كما هو منذ نزلت آياته الأولى على سيدنا محمد ﷺ ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] حتى الوقت الحاضر بعد مرور أكثر من ألف وأربعمائة وخمس وأربعين سنة ليجعل هذه اللغة في ازدهار دائم لا تعرف إلى الضياع أو الاندثار سبيلاً وهو يتلى بلسانه العربي في الدنيا كلها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولا نرى لغة أخرى لم يعثرها الزمان على مدى هذه الحقبة الزمانية الكبيرة، ثم إن ما وصل إلينا من تراث لغوي وأدبي مطلقاً يقرأ على مسامعنا فنفهمه وكأنه من نتاج عصرنا الحاضر. إن ذلك من

(١) انظر الشنقيطي، محمد الأمين، تنمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، مصر، ٣٦٣/٩.

جراء بركة القرآن الكريم وعظمته وقوة تأثيره في أهل الأرض جميعاً فضلاً عن تأثيره في المسلمين. ولعل ذلك شاهد ناطق لقوله تعالى ﴿أَيُّومَ أَكَلْتُمْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ [المائدة: ٣]. ولم يتيسر ذلك للغة أخرى قط على وجه الأرض، فهذه الدنيا جميعها شاهدة به، وذا أكبر دليل بين واقع، فأين السريانية والآرامية، وغيرها من اللغات، إنها خفتت مع الزمان وخبأ نورها ولم يعد لها وجود إلا في النقوش والآثار، وبذا يظهر الدليل واضحاً من جراء بركة القرآن الكريم ولغته.

فلقد مرت بأهل اللغة العربية سنوات وحقب عجاف من الضعف والهوان، وعلى الرغم من كل ذلك حافظت العربية على ازدهارها وقوتها ففي الحروب الصليبية والمغول، وفي العصر الحاضر كان التحدي كبيراً مخيفاً إلا أن العربية أثبتت أنها الأقوى والأمتن ثم الأقدر على مواجهة الصعاب والاحتفاظ لنفسها بظل الازدهار والقوة والتكامل.





المحور الثالث: انفراد اللغة العربية بتطورها

مع الحفاظ على أصولها

• طبيعة التطور:

إن أعظم ميزة في العربية قدرتها على الاشتقاق والتصريف، فلها بذلك القدر المعلى، فهي قادرة على مواكبة التطور مع المحافظة على الأصل والثبات.

ويلحظ ذلك في الاشتقاق الأكبر والأصغر وتقلباتها في اللغة^(١). وذا مما مكن لها من مواكبة التطور عبر العصور، وتجاوزها الصعاب، وشموخها أمام المنكرين.

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ

الْمُنذِرِينَ ﴿١٣٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٣٥﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥].

فهذا اللسان العربي المبين يرجع إلى أصول وأنسب محفوظة، ففي مقام التطور نجد شيئاً على حساب شيء جديد يولد وقديم يندثر، إلا أن اللغة العربية خالفت هذا ففيها التطور بأسمى معانيه مع ثبات أصولها وتراثها الوضّاء، وذلك لما أودعه الله فيها من عنصرين هامين هما: عنصر الثبات من خلال ميزان ذي أحرف ثلاثة تتركب فيه الكلمات بقوالب فكرية متنوعة يعرفها المتخصصون، وعنصر يتطور بتطور الحياة يتمثل في الاشتقاق اللغوي الذي يؤدي وظيفة التجديد والتوليد، ويوازيه النحت اللغوي والاشتقاق كذلك، لتكوّن النتيجة تعبيرات لغوية متجددة مع تجدد

(١) انظر ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ت: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م، ١٣٥/٢، وانظر باب التصريف، شرح ابن عقيل، ١٤١/٤.



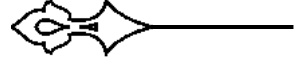
الفكر الإنساني وتقدمه، ومتواكبة مع الاستعمالات التي لم تكن في العصر القديم وقد أشار لذلك عميد الأدب العربي "لغتنا العربية يسر لا عسر ونحن نملكها كما كان القدماء يملكونها ولنا أن نضيف إليها ما نحتاج إليه من ألفاظ لم تكن مستعملة في العصر القديم"، ومع هذا التجديد والتطور تقف العربية في شموخ وكبرياء تتفرد بهما عما عداها من لغات أخر، لهذا فهي لغة إنسانية تعبر أصدق تعبير عن العواطف والأحاسيس فهي لغة شاعرة، بل إنها لتصور المعنى من خلال جرسها وألفاظها وتصاقب حروفها مع معانيها، فنجد الإمالة والإبدال والإشمام، وتسهيل الهمزات^(١)، ترتبط بالمعاني ارتباطاً واضحاً له دلالاته وأبعاده، وفي سياق المتصل نستطيع النظر إلى اللفظ وهو يمس المعنى فيحيله قائماً بذاته شاهداً على ما يفهم من خلال إلقائه، وتلك ميزة في العربية واضحة الدلالة في استخدام بعض الصيغ، كالفعالن، والفعلة، واستفعل^(٢)، والأمثلة في ذلك مستفيضة غاية في الذوق والجمال اللغوي وينم عن إحساس وجداني لمتكلميها. ولما خاطب الله بها البشر جميعاً من خلال آيات القرآن الكريم كانت خير أداة لنقل رسالة الإسلام الخالدة وتبني مشروع الحفاظ على العربية على كافة الصعد يمثل مشروعاً قومياً إسلامياً يعلي شخصية الأمة ويرسخ قيمها العربية والإسلامية، إن هذا التطور المبني على أصول ثابتة تنبه إليه أحد الكتاب الأجانب، فقال في قصة خيالية معبرة متخيلاً فيها سيّاحاً اخترقوا باطن الكرة الأرضية ولما وصلوا



(١) انظر: الخصائص: ١٤٧/٢.

(٢) المصدر السابق، ١٥٤/٢. انظر: سيبويه، الكتاب، عبدالسلام هارون،

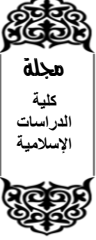
مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ٦٤٦/٣، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م..



إلى مكان ما في باطنها يصعب اختراقه خطر لهم أن يتركوا هنالك أثراً يدل على وصولهم إلى تلك النقطة فتركوا حجراً نقشوا عليه عبارة باللغة العربية. فلما سئل هذا الكاتب لم اخترت اللغة العربية من بين اللغات العالمية؟ أجاب لأنها لغة المستقبل سيموت غيرها من لغات بينما تبقى هي حية حتى يُرفع القرآن. وبذا ندرك أهمية العربية وخطوطها، لأنك تستطيع أن تقرأ وتفهم نصوصاً من آلاف السنين كتبت ولا تجد في ذلك غضاضة ولا حرجاً. فهي هي نصوص القرآن الكريم، والحديث الشريف والشعر الجاهلي شاهد، هي ناطق، لا ينكره إلا جاحد معاند.

• لغة ذات طابع وجداني:

إنّ اللغة العربية لغة ترفع الذوق والحس الرفيع وتحمي الأسماع عما يخدش الحياء فلقد اهتمت بالبعد الإنساني فهناك أشياء هي ضرورة حياتية قد يمتنع الإنسان عن التلفظ بها حياء فتأتي اللغة بألفاظ بديلة تعبر عن مكنون الإنسان بأسلوب لا يزيد السماع إلا متعة ولا الذوق إلا رقياً ففي تعبير القرآن عن الخصوصية الزوجية والألفاظ الجنسية بالمباشرة واللامسة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْشُرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وفي سورة يوسف يعبر القرآن الكريم عن أعلى ما يمكن أن يصل إليه الحس البشري من أمور فطرية بتعبيرات لا يستشعر فيها القارئ والسماع إلا ما يحفظ الحياء وبأسلوب بلاغي ينسجم مع أرقى المشاعر الإنسانية. فقال ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِطْنٍ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٢٤]، وقوله: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣].

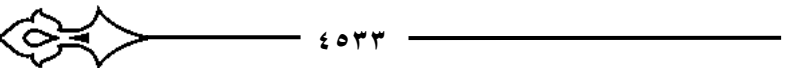


مجلة

كلية

الدراسات

الإسلامية



وقد ذكر سيد قطب في قوله: (الرفث إلى نساتكم) فقال: الرفث مقدمات المباشرة أو المباشرة ذاتها وكلاهما مقصود هنا ومباح ولكن القرآن لا يمر على هذا المعنى دون لمسة حانية رفاة، تمنح العلاقة الزوجية شفافية ورفقاً ونداوة، تنأى عن غلظ المعنى الحيواني وعرامته^(١). نعم، إنها اللغة التي تراعي المقام النفسي للإنسان فتجعل لكل مقام مقالاً ولا تُدخل السامع في إطناب قد يمل منه بل شعارها البلاغة والإيجاز.

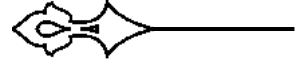


وعليه فإن ابن جني عقد لذلك فصلاً للرد على مَنْ زعم أنّ العرب اهتمت بألفاظها على حساب المعنى فقال: "... وبالفحش في تحبيرها وتحسينها، ليكون ذلك أوقع لها في السمع وأذهب بها في الدلالة على القصد"^(٢). لذا فإن العربية لغة نفسية جمالية قبل كل شيء تهتم بالوجدان والشعور قبل الخطاب وبعده، لهذا خاطب القرآن الكريم الناس بهذه اللغة لأنها تلامس شغاف القلب والوجدان وتؤثر فيه أيما تأثير، وانظر إلى آيات العذاب في شدتها وقسوتها، وفي الوقت نفسه انظر إلى آيات النعيم والرحمة في لطفها ورفقتها، تلحظ الفرق في الناحية الوجدانية النفسية وتلك من أعظم الدلائل على وجدانيتها ومخاطبتها العقل والروح معاً. وتجلى ذلك في مشاهد القرآن بطريقة التمثيل والتجسيم والتصوير الذهني^(٣).

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ١/١٧٤، ط ١٥، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٢) الخصائص، ١/٢١٧.

(٣) انظر: أثر السياق في توجيه المعنى القرآني: الزهيرى، محمود حسين، ص ٢٨، ط ١، ٢٠١٤، دار وائل، عمان.



إنها لغة تشعر سامعها بأهميته فعندما أحدثت إنساناً بها فإنني آخذ
بيده ليرتفع إلى لغة الرقي، يكفي أنها لغة سطر الله بها كلامه وخاطب بها
البشرية.

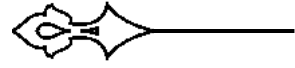


مجلة

كلية
الدراسات
الإسلامية







المحور الرابع: اللغة العربية أساس لفهم الدين

• مكانة اللغة العربية عند سلف الأمة:

يقول الحق - سبحانه - ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾

[القمر: ١٧] ويقول: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ [النساء: ٨٢] و[محمد: ٢٤].

فإن الله عز وجل قد يسر لغة القرآن ليتدبرها المسلمون فيقفوا على معالم الدين حيث إن اللغة أساسية لفهم هذا الدين ولقد وعى هذا جيداً سلف الأمة ورعيها الأول حيث كان اهتمامهم الكامل باستقامة اللسان في نحوه وصرفه وأنزلوا اللغة من نفوسهم منزلة رفيعة تتناسب ومكانتها العالية وجعلوا الاهتمام بها اهتماماً بكتاب الحق سبحانه، والروايات في هذا المقام كثيرة مستفيضة نقطف منها ما يلي:

فلقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة الأعرابي

الذي جاء ليتعلم القرآن فقراً: ﴿ أَنْ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة:

٣]. فبراً الأعرابي من المشركين ومن رسوله نظراً لأنه جرّ لفظه رسوله

بالكسرة كما نعلم فغضب أمير المؤمنين، لكن الأعرابي قال له هكذا

تعلمتها يا أمير المؤمنين. فأمر عمر رضي الله عنه ألا يقرئ الناس إلا

عالم باللغة وأمر أبا الأسود فوضع النحو^(١).

وروي عن ابن مسعود قوله: "جوّدوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات

وأعربوه فإنه عربي والله يحب أن يُعرب به"^(٢).



مجلة

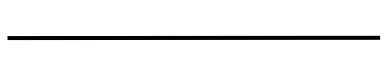
كلية

الدراسات

الإسلامية

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٢٤/١.

(٢) السابق: ٢٣/١.



وقال عبدالملك بن مروان: اللَّحْنُ هُجْنَةٌ عَلَى الشَّرِيفِ... وكان يقال:

اللحن في المنطق أقبح من آثار الجُدري في الوجه^(١).

وكتب الحصين بن أبي الحر إلى عمر كتاباً، فلحن في حرفٍ منه،

فكتب إليه عمر: أَنْ قَنَّعَ كِتَابَكَ سَوْطاً^(٢).

وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: لَبَّغُضُ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ أَحَبُّ إِلَيْنَا

مَنْ حَفِظَ حُرُوفَهُ^(٣)، وقيل للحسن رضي الله عنه إن لنا إماماً يلحن، قال

آخِرُوه^(٤).

ويروى عن عمر رضي الله عنه قوله: تَعَلَّمُوا النُّحُو كَمَا تَعْلَمُونَ

السُّنَنَ وَالْفَرَائِضَ^(٥).

أفلا تكفي هذه الشواهد على أهمية اللغة والنحو وتعلمها بل أثرها

في فهم الدين والفرائض ثم ألا تكفي هذه الروايات في بيان أهمية اللغة

وأثرها البالغ في الدين والشرع والشواهد في ذلك أكثر من أن تحصى

ويحاط بها. مما تحفل به مصادر العلم مما يدل على مدى اهتمام سلف

الأمة باللغة العربية وتقدير المتمكن منها والنظرة التي لا تنبغي لمن ليس

كذلك يقول الإمام الشافعي - في مقام أهمية اللغة - ما جهل الناس ولا

اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب.

(١) الجاحظ: عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام هارون،

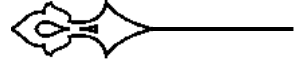
٢١٦/٢، مكتبة الخانجي، ط٤، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

(٢) السابق، ٢١٦/٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٢٣/١.

(٤) السابق: ٢٣/١.

(٥) البيان والتبيين: ٢١٩/٢.



• أثر لغة القرآن في بيان علوم الشريعة:

إن أول ما يحتاجه العالم في فروع الشريعة هو معرفة اللغة والتعمق فيها وفي أساليبها ونحوها وصرافها فهي: من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه... وليس ذلك نافعاً في القرآن فقط بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزيدته وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامه وحكمهم^(١).

ويذا شاء الله أن يكون اللسان العربي شعار الإسلام وهو لا ينفصل عن الدين ولا ينفصل الدين عنه، وعليه فإن العلاقة لزومية بين اللغة العربية وعلوم الإسلام من عقيدة، وتفسير، وحديث، وفقه وغيرها. ففي مجال العقيدة نرى يسر المنهج القرآني في بيان دلائل وجود الله ووحدانيته، وصفاته ميسرة تخاطب العقل بأدلة تخشع لها القلوب، وأخرى بلفت الانتباه إلى عناية الله، وخلقه وقدرته. كل هذا بعيداً عن مصطلحات أكاديمية أو إدخال المخاطب في سردايب جدلية منطقية فلسفية.

وفي مجال الفقه نرى آيات الذكر الحكيم تذكر ألفاظاً ذات دلالات حكمية فقهية يجتهد فيها فقهاء الأمة فيخرجون بأحكام تيسيرية لعباد الله ففي قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا رُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: ٦]. هناك من قال: إن التقدير فامسحوا بكل رؤوسكم وهناك من قال بل هو فامسحوا ببعض

(١) الأصفهاني، الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت، ص، ن، من المقدمة.



رؤوسكم^(١)، وفي قوله تعالى ﴿ أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] حدث اجتهاد في مسافة هذا السفر^(٢) وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾ [النساء: ١٠١]. وقع اجتهاد في مسافة السفر، وكذلك مدة الإقامة التي تبيح القصر^(٣)، وغير هذا كثير.

وفي مجال التفسير يقول مجاهد - رحمه الله - لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إن لم يكن عالماً بلغات العرب. بل لا بد للمفسر من مراعاة اللغة وفنونها وتصاريفها ليكون عالماً بالتفسير وقد ذكر ذلك عدة مفسرين وعلماء^(٤).

وفي عهد سيدنا عمر قدم أعرابي إلى المدينة ليتعلم القرآن فأقرأه رجل قوله الله في سورة التوبة هكذا: ﴿ وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة: ٣] بكسر اللام والصواب ورسوله بضم اللام لأنها بالكسر تعطي معنى أن الله بريء من رسوله وبضم اللام (وهو الصواب) تعطي معنى أن الله ورسوله بريئان من المشركين فلما سمع الأعرابي القراءة الخاطئة قال: أو قد برئ الله من رسوله؟ إن يكن بريئاً من رسوله فأنا أبرأ من رسوله كذلك. فلما سمع عمر مقالة الرجل وعرف سببها قرأ سيدنا عمر الآية صحيحة فقال الرجل:

(١) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٨٧/٦.

(٢) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٥٣/٥.

(٣) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٥٣/٥.

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن، ٣٧٧/١، والجامع لأحكام القرآن،

٣١/١، والطبري، ٣٨/١.

اللغة العربية ووسائل الحفاظ عليها وجلاء

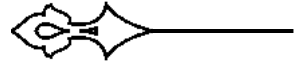
وأنا - والله - أبرأ مما برأ الله ورسوله منه، فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ألا يُقرئ الناس إلا عالم باللغة^(١).

إنَّ هذه الواقعة تبين لنا خطورة اللحن في اللغة وما يترتب عليه من معان فاسدة في فهم التفسير أو الحديث أو غيرهما وهذا بدوره يجعل استقامة اللغة أمراً من الأهمية بمكان بالنسبة لدعاة الأمة وخطبائها يقول عبدالمك بن مروان: شيبني صعود المنابر خوف اللحن.



(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٤/١.





المحور الخامس: اللغة العربية أساس

في المحافظة على هوية الأمة

• اللغة أساس في الحفاظ على الهوية وبناء الشخصية:

إنّ مظاهر هذه العزة متنوعة وأهمها الحفاظ على هوية الأمة ذاتيتها وأصالتها من داخل لغتها فتجعل الناطقين بها كلاً متراسماً خاضعاً لقوانين محددة، كما أنها الرابط بين عالم الأجسام وعالم الأذهان ومن يتأمل اللغة العربية يجد أن لها دوراً يتجاوز كونها أداة لتوصيل الفهم والإفهام فقط إلى كونها من أهم عوامل الحفاظ على شخصية الأمة الإسلامية ومعالمها يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنّ لكم معالم فانتهبوا إلى معالمكم)^(١) ولذا فهذه اللغة تبني القيم وتعمق مكارم الأخلاق وتفرض مبدأ الاعتزاز بهذا الدين الحنيف وتظهر مدى النعمة في الانتساب إليه ولقد استطاعت أن تتخير الملائم لها ولدينها وثقافتها من الثقافات الأخرى أخذاً بالمنهج التكاملي لقد اتسعت في التعامل مع هويات أخرى شاركتها الوجود في هذا العالم فأثرت هي في تلك الهويات وحافظت على ذاتيتها في رفعة لا نظير لها وعليه فاللغة العربية ومن خلال القرآن الخالد إلى قيام الساعة هي التي رسخت هوية المسلمين شرعةً ومنهاجاً.

ففي الوقت الذي يجتهد فيه الناس ليمحو هويتهم كانت اللغة العربية هي التي تحمي أبنائها إنها الهوية الواقية التي أكسبت بني جلدتها تميزاً وعزاً وسيادة، وعلى أبنائها كذلك أن لا يسمحوا بلغة تزامها أو أن تعلقوا لغة أخرى عليها وإلا فقدوا معطيات الهوية المذكورة لأن الأمة

(١) بليق: عز الدين، منهاج الصالحين، دار الفتح للطباعة، بيروت، ط ١،



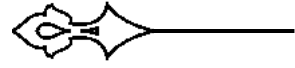


التي لا تحافظ على لغتها تفرط في هويتها وتضيّع ماضيها وتخسر
مستقبلها فما ذلت لغة شعب إلا ذل وما انحطت إلا كان أمره في ذهاب
وإدبار.



مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية





● لغة التواصل والحوار:

إنَّ من أثر مظاهر هوية اللغة العربية تأصيل مبدأ التواصل والحوار بين أبنائها من أمة الشهادة جميعاً مستفيدين في هذا بما أورده الحق سبحانه في كتابه العزيز في مواضع كثيرة فيها حوار بناء على لسان بعض أنبيائه مع أقوامهم كما جاء على لسان سيدنا إبراهيم وسيدنا موسى وغيرهما مما يدعم ملكة النقد الإيجابي ويأخذ بالنواصي إلى باب الحكمة المنشودة (فالحكمة ضالة المؤمن أتى وجدها أخذها) وفي هذا التواصل يتحقق نوع من التقارب الفكري بين أمة الإسلام وهذا بدوره مظهر من مظاهر الهوية الواحدة.

إنَّ من أهم أساسيات التواصل أنك تقرأ نصاً من أقدم عصور اللغة فتدركه وتصل إلى نقطة الفهم والتفاعل معه ويصل إليك المراد والمدلول من عصر الجاهلية، وأقدم النصوص إلى العصر الحديث وهذه ميزة لم تكن لأية لغة على وجه الأرض^(١)، بينما نجد اللاتينية بعد أن ورثتها اللغات الأوروبية يعجز كثير من أبناء أوروبا عن قراءة نصوصها الأصلية حتى تترجم إلى اللغة الحديثة. ولا يفهمه في العصر الحاضر إلا جزء قليل من الدارسين، ومما يميز هذه اللغة حفاظها على مفرداتها ومعانيها ودلالاتها وما أن نصل إلى الرسم والخط حتى نجده ثابت بثبات القرآن الكريم "... حتى جاءت إلينا مُعبّرة عن تاريخ بعيد، وتراث عريق، ناطقة على ألسنتنا، كما كانت تنطق على ألسنتهم دون أن تستغرب، أو

(١) انظر نحو لغة عربية سليمة، مجموعة بحوث بمناسبة صدور قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية، ص ٤٥. الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.



تستعجم، فأصواتها وصيغها، وتراكيبها هي كما كانت لم يصبها كثير من التغيير رغم تطاول القرون، وتتابع الأجيال، وهو أمر نادر الحدوث في عالم اللغات^(١).

وعاء الحفاظ على ثقافة الأمة وتراثها:

إن الثقافة مطلقاً تتكون من قيم ومبادئ ومعتقدات وأنماط سلوكية وفي هذا بعد إدراكي يظهر في الواقع الاجتماعي مع الطرف الآخر، وبعد معياري يميز بين الخير والشر، والحسن والقبيح، ويُعد إرادي يرسم المنهج للخطوات العملية الواجب اتباعها، والهوية الإسلامية من خلال القرآن الكريم ولسانه العربي المبين يطبع الثقافة المذكورة من مكوناتها وأبعادها بطابع يجمع بين العقيدة والشريعة والأخلاق؛ فتكون بهذا أم الثقافات ومن أوائل روادها قيادة وإعلاء وهي بهذا وعاء للحفاظ على ثقافة أمة الإسلام وتراثها.

وفي ضوء هذا نقول: (ثم إن العربية بعد كل الذي ذكرناه من خصائص وميزات، لا تقل في رحمتها الواسع عن كل ما انتهت إليه حضارة العرب وثقافتهم عبر عصورهم المختلفة ومراحل تطوره المتعددة من منجز روحي أو أثر مادي فقط، وإنما تحمل في مقوماتها، وخصائصها مقومات الشخصية القومية العربية وخصائصها كذلك. فثمة توافق وجودي عميق بين مقومات كل من اللغة العربية، حتى إنك تستطيع أن تتفرد هذه في تلك^(٢)).

(١) شاهين، عبدالصبور، العربية لغة العلوم، ص ٤٣، دار الاعتصام، ط ٢،

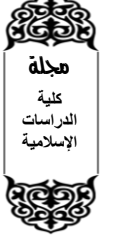
١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٢) نحو لغة عربية سليمة، ص ٧٣.

إن الأجيال الإسلامية الجديدة التي فتحت أعينها على مدينة الغرب الجارفة ينبغي أن تفكر ملياً في هذه المدينة لتدرك أنها مدينة وُضعت وجاءت لتخدم مصالح قومها فقط ولتحقق لهم السيادة والريادة في مرافق الحياة كلها وتجعل غيرهم تابعين لهم لا يملك إلا الإذعان والتسليم؛ إنها مؤامرات تغريب التراث وطمس الذوات، وإن الحفاظ على اللغة العربية في هذا التوقيت لهو بمثابة الأخذ بأسباب الثبات وحفظ التوازن أمام رياح شديدة عاتية فهو مشروع إسلامي بحيث يحمل أفراد الأمة على كافة مستوياتهم مسؤولياتهم الكائنة برقابهم مراعاة لما استودعهم الله من أمانة لغة الكتاب المبين (إن اللغة تختزن بين أحرفها وكلماتها فكراً وتصوراً وتاريخاً، وإنّ هذا الفكر والتصوير يتسلل بين الكلمات والجمل)^(١).

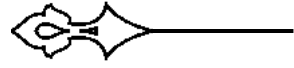


(١) النحوي، عدنان علي رضا، اللغة العربية بين فكر الأعداء وجفاء الأبناء، ص ٧٧، دار النحوي للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.



مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية





المحور السادس: وسائل الحفاظ على اللغة العربية

أولاً: نشر حفظ القرآن الكريم

إنَّ الأمم مرتبطة بقوة لغتها لأن الأمة هي اللغة واللغة هي الأمة ومن أهم وسائل الحفاظ على اللغة العربية نشر حفظ القرآن الكريم يقول صلى الله عليه وسلم^(١): (خيركم من تعلم القرآن وعلمه). وبناءً على هذا يجب العمل على نشر حفظ القرآن الكريم على مستوى أفراد الأمة ومؤسساتها، ويقترح في مراحل التعليم الإلزامي والجامعي فرض نصوص قرآنية تحفظ، ليكون الطالب على صلة مع هذا النص المعجز المقدس، الذي يملؤه الأدب والبلاغة.

ذلك لأن البعد عن القرآن بُعدٌ عن اللغة العربية التي لو أهملت أو طغت عليها اللهجات العامية أو اللغات الأجنبية لكان بيننا وبين القرآن غربة نسمع آياته ولا نعرف حتى بعض معانيها أمّا مع حفظ القرآن والاهتمام بلغته فإنه يصح لسانه وتستقيم مخارج حروفه ويرتقي في كلامه وكتابته.

ثانياً: العمل على تيسير قواعد اللغة وتطبيقاتها في جميع المراحل التعليمية

ومن وسائل الحفاظ على اللغة العربية والدفاع عنها تبسيط قواعدها وتيسيرها للدارسين في جميع المراحل التعليمية عملاً على فهمها والإقبال عليها وكذلك الأمر في تطبيقات هذه القواعد بطرائق محببة للدارسين مرتبطة بواقعهم حتى يتعايشوا مع هذه اللغة المعطاءة وأن يعكف على

(١) البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، رقم الحديث (٥٠٢٧)، دار الفكر، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.



هذا التبسيط والتطبيق أناس من المتخصصين المهرة^(١)، حالتئذ يزول الحاجز النفسي بين اللغة العربية المركز في الانطباع بأن قواعدها صعبة المنال وأن تطبيقاتها مليئة بألفاظ ومصطلحات عسيرة الفهم، فإن دور المتخصصين المهرة يتمثل في تبسيط المحافظة على أصالة اللغة ووقارها ويتدرج من مرحلة تعليمية إلى أخرى حتى يصل إلى درجة فيها رقي كامل في شرح قواعد وبلاغة وأدب هذه اللغة.

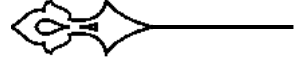


ويرفد هذا المقترح آخر وهو فصل تعليم القواعد ودرجاته في التعلم عن درجات اللغة العربية الأخرى كالنصوص، والإنشاء، والبلاغة، بحيث تصبح درجات مستقلة كمادة منفصلة في درجاتها وتقويمها^(٢)، وذلك مما يحفز الطالب على دراستها كمادة مستقلة ويحصل فيها على درجات النجاح والتفوق، وهذا رأي أستاذنا شوقي ضيف حين نصح أحد البلاد الخليجية بذلك فأفادوا من تجربته!

إن إعادة الثقة بمعلمي اللغة العربية يجب أن يأخذ مكانه في هذا الدور ويتبوأ مكانة مرموقة بين المعلمين، ويكون ذلك مادياً معنوياً من حيث المكافآت والتقدير، والترفع عن ابتذاله والحط من مكانته أمام معلمي اللغات الأخرى؛ ليكون ذلك أوقع في قلوب طلابه ومكانته بين زملائه وإدارته. فإذا ما تغير هذا ورجعت لمعلم العربية مكانته وحصل على ثقة في نفسه من خلال نظرات تقديرية لدوره الهام فإن مردود هذا ينعكس في عطاء مليء بالحيوية والنشاط. فإن إعداد الأستاذ المؤهل الشغوف بلغته

(١) نحو لغة عربية سليمة، ص ٥١.

(٢) انظر: نحو لغة عربية سليمة، ص ٤٦.



والمتمكن منها ليقوم بمهمة تدريسها وتعليمها^(١)، سيعطينا أستاذاً متفانٍ في خدمة هذه اللغة مضحّ من أجلها مجاهداً من أجل تحبيبها للناشئة فيقبلوا عليها بنفوس مفتوحة وقلوب متلهفة وعقول متوقدة.

والطرف الآخر في العملية التعليمية هم متعلمو اللغة العربية، فليكن لهم تقدير خاص ورعاية واهتمام لائق واستثناءات تفتح الباب أمام الراغبين بدراسة هذه اللغة والاعتناء بهم بعد التخرج.

وتأتي في الدرجة الثانية مطبوعات هذه اللغة يجب أن تكون متوفرة وميسرة وأن تحظى بدعم من الجهات الرسمية والخيرية والأفراد وبأسعار يسهل الحصول عليها واقتناؤها، وبهذه الأطراف الثلاثة المعلم، والدارس، والكتّاب تأتي الثمار المرجوة، والطموح المأمول وألاً يكون نظيراً بل عملاً مؤسسياً هادفاً له أسسه وقوانينه، وألاً يقتصر ذلك على قطر أو بلد دون آخر بل تتضافر الجهود والمسؤوليات نحوه^(٢).

رابعاً: رد ما يحوم حول لغتنا العربية من شبهات

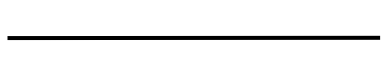
إنّ الشبهات التي تدور حول اللغة العربية ومقدرتها على الحياة وصمودها أمام كل حركات الهدم والتشويه لها من أعظم العوامل في تخلي أبنائها عنها وقصورهم في حملها والاعتزاز بها.

وتكمن الشبهات في عدة نواحي منها ما يتعلق بدورها في العلوم وقدرتها على مواكبة لغة العلم والتكنولوجيا وتدعو إلى تغيير حروفها إلى اللاتينية لتكون أقرب إلى الدارسين. وبكل سهولة تدحض هذه الشبهة من

(١) انظر: نحو لغة عربية سليمة، ص ٤٦. وانظر: اللغة العربية بين مكر

الأعداء وصفاء الأنبياء، ص ٨٨.

(٢) انظر: نحو لغة عربية سليمة، ص ٧٤.



واقع الحياة والتجربة؛ فليست اللغة الصينية واليابانية بعيدة عن واقع الحياة الحاضرة ومستوى تعقيدها على مستوى الحروف ومستوى المفردات، وعلى الرغم من كل ذلك تراهم يبدعون في العلم والتكنولوجيا بل يتفوقون على كثير ممن يستخدم الحروف اللاتينية فليست العربية بأعقد ولا أعسر من تلك اللغات؛ فهذه حجة واهية كان القصد من ورائها والهدف هو تحطيم العربية لتحل محلها اللغات الأخرى، فهذا شاهد حي معاصر ملموس ودليل أوضح من الشمس، على ما في العربية من مرونة وتطور، بل إنها كانت لغة العلم قرناً متطاوله^(١).



وفي هذا المجال عكف: (ثلاثة أعضاء منا في تعريب هذه المصطلحات، الأسلوب الذي اتبع هو أسلوب وضع قواعد لوضع مصطلح... في اللغات الأجنبية سوابق ولواحق وما إلى ذلك. وإذا وضعت قاعدة، صرنا ننجز في اليوم أعداداً كبيرة جداً في هذه المصطلحات، لذلك، لدينا الآن معجم كامل من (١٩) ألف كلمة، المعجم الطبي الموحد)^(٢).

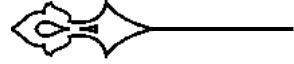
وما هذا بغريب على لغة يقول لسان حالها:

وسعتُ كتاب الله لفظاً وغايةً وما ضقت عن آي به وعظمت
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتسبق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن فهل ساعلوا الغواص عن صدفتي؟

وتأتي شبهة أخرى تقول: (إنَّ الرقي الذي ننشده أن نعيش الحياة العلمية التي تستند إلى الحقائق البيّنات لا إلى العقائد).

(١) انظر في هذا المجال: اللغة العربية لغة العلوم والتقنية، ص ١٥.

(٢) نحو لغة عربية سليمة، ص ١٧.



ويدحض هذا الرأي والشبهة بأن لغة القرآن الكريم - العربية - ونزوله بها وانتشار دين الإسلام هو أول من حارب الجهل والضلال وقضى على الخرافات بل أطلق للعقل حريته في التفكير الصحيح السليم المستند إلى الأدلة والبيّنات^(١).

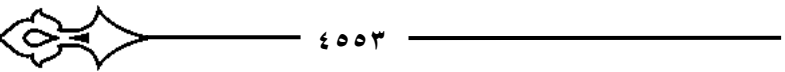
وإن مما يؤكد صحة ما نحن بصدده آيات كتاب الله العربي المبين في إيقاظ الحس البشري إلى آيات الكون ومجالاته المتعددة، ومما يؤكد استناد العربية وأبنائها إلى الدلائل تأكيد القرآن الكريم على التوثيق والدليل بقوله سبحانه ﴿ وَلَا نَقُفُّ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنَّهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وهذه شواهد علماء الإسلام والمسلمين غير علماء الدين والتشريع؛ مثل ابن سينا والرازي والخوارزمي^(٢)، ألم يستندوا إلى حقائق علمية وإثباتات نظرية عقلية في تجاربهم وعلومهم، وكلها سطورها باللغة العربية، ولعل ذلك أقوى دليل وأوضح شاهد على رد هذه الشبهة وتفنيدها.

على أن العقائد والدين إن كان من طريق صحيح لا شك فيه فهو أقوى دليل وأوضح شاهد، بل أعظم ما يستند إليه العالم في بحثه لاسيما إذا كان مثل القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا الحديث الشريف وسيرة الرسول ﷺ شاهده بإثبات الأدلة العقلية وتوضيح الحقائق البينة وإبرازها في ثوب علمي صحيح جلي لا ريب فيه ولا شك، داحضة كل خرافة أو أسطورة أو تكهن.

(١) انظر: الأدب الراشدي رؤية، ومنهج، ص ٥٤.

(٢) انظر: العربية لغة العلوم والتقنية، ص ١٥١، ص ١٦١، ص ١٧٩.



فلما كُسفت الشمس يوم وفاة إبراهيم ابن النبي ﷺ، وخشي النبي أن يربط أحد ظاهرة الكسوف بموت ابنه، قال: (إنَّ الشمسَ والقمرَ آياتان من آياتِ الله لا يَنْخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته)^(١). وهو من أقوى الأدلة الصحيحة في رد الخرافات والأساطير، وحديثه ﷺ في طلب العلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)^(٢)، وأحاديث الحث على طلب العلم كثيرة.



خامساً: إبراز المكانة اللائقة باللغة العربية في كافة الوسائل الإعلامية من وسائل الحفاظ على اللغة العربية أن نعطيها مكانتها اللائقة بها في كافة وسائل الإعلام مسموعاً ومرئياً ومقروءاً تدار بها الندوات والحوارات ويلتزم بها الكاتبون.

كما يخصص للغة حلقات متنوعة تبين للناس كاف قدرة هذه اللغة وثرائها حيث إنَّ للإعلام فعل السحر بقوته المؤثرة ذلك لأنه يدخل في كل بيت، وكثير ما هم أولئك الذين لا يعرفون عن اللغة العربية إلا كونها مادة تدرس في مجال التعليم، فعلى المسؤولين عن الجانب الإعلامي دور هام منوط بهم تجاه اللغة العربية وتجاه أمتهم ولا شك أن اهتمام الإعلام مطلقاً بالتثقيف اللغوي يكوّن لدى المستمع والمشاهد والقارئ وعياً لغوياً صحيحاً ويغرس فيه أصالة الاعتزاز بلغته وتقديرها والاهتمام بها. وعليه فإن تأهيل الكوادر الإعلامية من إذاعة وتلفزيون ومسرح وسينما لغوياً بصورة جيدة راقية، وتقوية الإشراف والتصويب اللغوي والتشديد فيه في كافة الوسائل

(١) البخاري، رقم الحديث (١٠٤٤).

(٢) المنذري: عبدالعظيم، الترغيب والترهيب، ٩٦/١، دار إحياء التراث، بيروت، ط٣، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

اللغة العربية ووسائل الحفاظ عليها وجلاء
الإعلامية^(١)، سيكون له أعظم الأثر في جلاء صورة العربية التي تراكمت
عليها عوادي التخريب والتشويه والهدم.

سادساً: الترفع عن استعمال الألفاظ الأجنبية والعامية في المجتمع العربي
من وسائل الحفاظ على اللغة العربية الترفع عن استعمال الألفاظ
الأجنبية والعامية في مجالات الحياة اليومية فكثيرون من أبناء العربية
يستخدمون للتعبير عن الموافقة أو الرفض أو التأكيد ألفاظاً أجنبية إيهاماً
للمتلقي أنهم على درجة عالية من الثقافة والتحضر والمدنية.

وليس هذا من الثقافة بشيء إنه غزو لألسنتهم وأفكارهم على حين
أنك لا ترى أجنبياً يخاطب واحداً من بني جنسه بالعربية ولا بغيرها، بل
يرفض أن يتكلم بغير لغته أياً كان المتلقي، ولا يتحدثون على كافة الصعد
دولية أو محلية إلا بلغتهم فقط وفي أغلب أحيانهم لا يستجيبون لمن
يخاطبهم بغيرها.

وهذا في العربية وأبنائها أولى وأجدر، لقداستها ولأنها لغة التنزيل
وكفى بذلك شرفاً ورفعة.

ولقد بين الإمام الشافعي أن الله فرض على جميع الأمم تعلم اللسان
العربي لمخاطبتهم بالقرآن والتعبد به، ولم ينكر عليه أحد من علماء
الإسلام، لأنه أمر مجمع عليه^(٢).

كما يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: (وأما اعتياد الخطاب بغير
العربية - التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن - حتى يصير ذلك عادة
للمصر وأهل الدار وللرجل مع صاحبه فلا ريب أن هذا مكروه فإنه من

(١) نحو لغة عربية سليمة، ٣٩.

(٢) المغني، ٤٨٦/١.

التشبه بالأعاجم)، ويقول كذلك: (واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بيّناً)^(١).

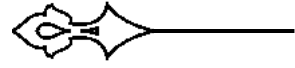
لكي نحافظ على العربية ونقدّرها ينبغي أن نهتم باللغة الفصحى ويكون حديثنا بالعامية في نطاق ضيق محدود، أما استخدام العامية في شرح الدروس العلمية فهذا من سوء بمكان ويكون أسوأ إذا كان في مرحلة علمية متقدمة؛ لذا فإن نبذ العامية وإقصائها لهو من ضرورات العصر والمرحلة لتأخذ العربية مكانها وقدرها بين أبنائها^(٢).



مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

(١) ابن تيمية: أحمد، اقتضاء الصراط المستقيم، ٢٠٤.

(٢) نحو لغة عربية سليمة، ص ٦٥. وانظر: اللغة العربية بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء، ص ١٢٨.



سابعاً: الاهتمام بدقة الترجمة من لغتنا وإليها

لقد نشأت حركة الترجمة إلى اللغة العربية في الإسلام قبل نهاية القرن الأول الهجري واتسعت بعد ذلك بنقل علوم في الطب والفلسفة والفلك وغيرها ثم طور المسلمون ما تمّ ترجمته ووضعوا عليه تعليقاتهم وإضافاتهم وكان لهم باعٌ كبيرٌ واشتهر منهم خلقٌ كثيرٌ علموا الدنيا كلها في ظل الدولة الإسلامية متسعة الأطراف حينها.

ومعرفة المترجم للغة يجلي الفهم ويبرز المعنى إذا كان المترجم دقيقاً وملمأً باللغتين ويجنبه الوقوع في الخطأ^(١). فالترجمة تزيل حاجز الفهم بين اللغات المختلفة، وساعد على انتشارها في البيئة الإسلامية طبيعة اللغة العربية المعطاءة المرنة ذات القدرة الفائقة على إيجاد كافة المصطلحات للألفاظ الوافدة إليها من لغات أخرى، وإنّ من أهم وسائل الحفاظ على اللغة في هذا المقام هو مراعاة الدقة في الترجمة من العربية وإليها هذا ولقد ظهر في عصرنا الحاضر ما يسمى بالترجمة الفورية وكثيراً ما تقع فيها أخطاء تشوّه معنى الجملة المنقولة للطرف الآخر وقد أدى عدم دقة الترجمة إلى تمييع الثروة اللغوية^(٢)، وإشاعة كثير من مصطلحات لا تغني في الفهم شيئاً، وكان ذلك على حساب العربية، وهنا مكنم الخطر وباب الفساد والضياع، لأن العربية في نظر عامة المسلمين الآن جزء لا يتجزأ من الدين الهوية والثقافة^(٣).

(١) المصري: حسين مجيب، أثر المعجم العربي في لغات الشعوب الإسلامية الإردية، التركية، الفارسية، ص ٣، مكتبة مدبولي، ١٩٩٢م.

(٢) نحو لغة عربية سليمة، ص ٣٦.

(٣) اللغة العربية بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء، ص ١٢٨.



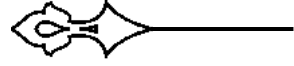
على أن الترجمة لا تعني ضياع العربية أو تمييعها والاستغناء عنها أو استبدالها بأخرى بل لا بد من قيام دولة لغوية عربية بتنظيم عملية ترجمة علمية شاملة لكل ما تحتاجه مؤسساتها في مسيرتها الحضارية لأجل التعليم أو المنافسة أو لنقل أسرار التقنيات^(١).
ثامناً: نشر العربية في البلدان الناطقة بغيرها عبر السفارات العربية والإسلامية



إنَّ العربية كلغة للتواصل بين شعوب الأمة وغيرهم يجب أن نعمل على تعليمها وإشاعتها لا سيما في البلدان الناطقة بغيرها وذلك من خلال السفارات العربية والإسلامية، وأن تساعد الجمعيات الحكومية والخيرية على إنشاء المعاهد والمدارس المتخصصة لتعليم اللغة العربية ولننظر إلى تاريخ المسلمين الزاهر في هذا المقام عندما فتحوا بلاد الأندلس وعملوا على تعليم أهلها اللغة العربية لدرجة أنه كان يندر من لا يتحدث بها حتى، أضحت في فترة قصيرة جداً اللغة الرسمية والشعبية معاً؛ فلتُبذل الجهود على مستوى أهل الخير وعلى مستوى المسؤولين الذين بيدهم أخذ القرار لأن ذلك من باب الأجر والثواب ومرضاة الله ورسوله ﷺ. يقول ﷺ: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له)^(٢)، فهذا المشروع للحفاظ على العربية بالوسيلة المذكورة من أهم العلوم التي يُنتفع بها ويمتد نفعها إلى الإنسان بعد موته.

(١) العربية لغة العلوم والتقنية، ص ٢١.

(٢) النووي: يحيى بن زكريا الدمشقي، رياض الصالحين، رقم (١٣٨٣)، صحيح مسلم.



تاسعاً: التزام الساسة بالتحدث بالعربية في المحافل المحلية والدولية
إن أمراً هاماً يساهم في الحفاظ على العربية ويعيد رفع شأنها ألا
وهو التزام القادة والساسة بالتحدث بهذه اللغة الراقية في خطاباتهم
الداخلية وفي المحافل الدولية حيث يسمعها العالم كله من خلالهم
ويساعد على هذا أن منظمة اليونسكو العالمية قد اعتمدت العربية لغة
دولية عالمية إدراكاً لأهمية هذه اللغة ولكثررة البلدان التي تتحدث بها
ومكانتها في هذا العالم.

إن الفصحى تعبر عن المعنى بإيجاز وتعود المرء على استخدام
عقله قبل لسانه وكذلك اختيار اللفظ المناسب في مكانه المناسب فأين
هذا من لغة عامية عشوائية.

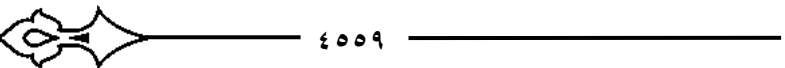
زد عليه أن العامية لهجات محلية تختلف من بلد إلى بلد في
القطر الواحد وانتشارها يؤدي إلى قطع رافد هام من روابط الوحدة بين
المسلمين الذين تجمعهم وتوحد بينهم لغة بلسان عربي مبين.

• العناية المتميزة بأقسام اللغة العربية في دور العلم:

يجب أن تحظى هذه الأقسام أينما كانت برعاية خاصة لطلابها لا
سيما الوافدين للدراسة، وأن تكون هذه الأقسام محط نظر المسؤولين وأهل
الخير من المحسنين رعاية كاملة للدارسين فيها؛ فالمعلم عنصر فعال من
عناصر تقويم اللغة لدى المتعلمين فمن الواجب أن يُعدَّ إعداداً صالحاً
لتبؤنه هذه المهنة^(١). وإنشاء معاهد لمعلمي اللغة العربية من أنجح
الوسائل لإعادة الثقة إلى العربية وتبؤنها مكانتها العالمية^(٢).

(١) نحو لغة عربية سليمة، ص ٤٦.

(٢) نحو لغة عربية سليمة، ص ٥٢-٥٤.



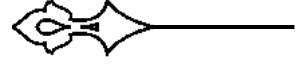
ومن مظاهر هذه الرعاية العمل على طباعة وتوفير مصادر ومراجع اللغة العربية بأسعار زهيدة مدعمة وبعضها بالمجان على نفقة المحسنين حتى تتاح الدراسة كاملة للطلبة غير القادرين على الشراء، وبتشجيع كامل من المؤسسات الرسمية والحكومية لبناء معلمين قادرين على عرضها على المتعلمين بصورة راقية حضارية وليكون لديه قدرة على الإفادة من كتب التراث العظيمة.



ثاني عشر: إقامة دورات مكثفة في اللغة لرجال الدعوة

إضافة إلى ما سبق يجب أن تُقام دورات مكثفة وجادة لرجال الدعوة في شتى مواقعهم فهم لسان اللغة والمحافظين عليها، وإذا كان أحدهم دون المستوى في اللغة فإنه لا يستطيع أن يدعو الناس بطريقة جيدة، ففاقد الشيء لا يعطيه، أما إذا كان فهمه جيداً للغة العربية فإنه يستطيع أن يعبر عما يجيش ب صدره في يسر وسهولة بجمل وعبارات تقع من عقول وقلوب المستمعين موقع القبول كما أن درايته باللغة تكون له عوناً لفهم ما يقرأ من كتب يستفيد منها في عرض دعوته.

ومن هنا فإن إقامة الدورات بمستويات تصاعديّة تصل برجال الدعوة إلى درجة تجعل دعوتهم وخطبهم واضحة المعالم يبلغ الداعية رسالته في أقل زمن ممكن أما بغير هذا فإنه يجول ويصول في زمن كثير من غير أن يصل إلى هدفه، ويجب على رجال الدعوة الذين يلمسون من أنفسهم نقصاً في الجانب اللغوي أن لا يستنكفوا عن المشاركة الجادة في هذه الدورات وأن لا تحول بينهم وبينها أمور حياتية أو اجتماعية مهما كانت فهم مسؤولون أمام الله عما يدعون فليكن لديهم علو همه شعارهم



التعليمي لأنفسهم والتثقيفي قول الله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ الْأَعْلَى﴾
[الليل: ٢٠].



مجلة

كلية
الدراسات
الإسلامية

بل إنَّ الأمرَ يجب أن يكونَ أعمقَ من ذلك بحيث يمنع مَنْ لا يجيد
اللغة وأساليبها من الدعوة وإقامة الندوات؛ لأنَّ ذلك ضررُهُ أكثر من نفعه
ولربما أوصل الدعوة بصورة مشوهة.

والله من وراء القصد

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين



